

كانت الفتيات الصغيرات جالسات يجتمعن في مدرستهن المجهز وهي تقص عليهن قصة يهوذا ، وكانت تصف لهن كيف كان المسيح يحب تلاميذه جميعاً كما تحبكن امهاتكن اينها الفتيات ...

من ايام الرعب انيسة قصة بقلم يوسف الشاروني

تجنب معاشرة تلك البنت ، وسرعان ما نسيت البنت هذه النصيحة فكررتها مرة أخرى امام والديها ، فابلت الام ان صرخت فرباً وهددتها بأنها ستذهب الى « النار حيث يأكلها الدود » إن هي كررت هذا اللفظ ،

وحاول الوالد أن يهدئ من سورة الأم حين رأى ابنته تبكي ، لكنه حين علم بأنه سبق عليها التنبيه انضم الى الام مفرعاً ابنته حتى احست انيسة انها كائن بائس لا نصير له ، وان النار والدود ينتظرانها ما دام والداه غير راضيين عنها .

وعادت المدرسة تقول إن الأشرار تركوا يهوذا ولكن الشيطان بقي يوسوس في أذنه (ومثلت المدرسة شكل الشيطان وهو يوسوس في أذن يهوذا) وضحكت بعض التلميذات ، ولكن اكثرهن ظلمن واجبات تنطق وجوههن بالخوف والاشفاق على ما يظنر المسيح على يد يهوذا . والمدرسة تقص كيف انتصر الشيطان وافترق معه يهوذا على ان يسلم المسيح للاعداء . ولما كان الاعداء لا يعرفون المسيح فانه سيقدم نحوه من دون التلازمة ويقبله ، فيظنر امام المسيح بظنر الحميم ويعرف الاعداء انه الشخص الذي يريدونه .

وتذكرت انيسة ان الكذب انواع ، وانما ماها نحابلنا فان الله يكتشف أين كذبتنا . لقد كان يلولها أن تتخيل احياناً ما لا وجود له ثم تقصه على والديها أو أخوها كأنها رأته رأي العيان . وكان والداه يدركان - بما هما عليه من ثقافة - أن هذا أمر طبيعي ينشط به الطفل ملكة التخيل لديه ، فلم يكونا يفسرانه على انه كذب ، ولكن والداه قص - في أحد الاجتماعات العائلية الدينية الصباحية - قصة الزوجين حانانيا وسفيرا اللذين ورد ذكرهما في الانجيل ، وكيف أقبل الزوج على بطرس تلميذ المسيح وأخبره بأنه باع ما يملكه ووهب كل ثمنه الكنيسة ، ثم قدم له مقداراً من المال ، ولكن بطرس أدرك أن حانانيا لم يحضر له كل الثمن وواجهه بذلك فسقط الكذاب ميتاً على الارض ، وما لبثت زوجته أن أقبلت بغير ان تعرف ما حدث لزوجها واكدت ان المبلغ الذي أحضره زوجها هو ثمن ما باعاه حقاً . فقال لها بطرس إن الذين دفنوا زوجك سيدفنونك أيضاً . ومن يومها تعلمت انيسة أن كل من يقول غير الحقيقة يقتله الرب ، ويكون مصيره مصير حانانيا وزوجه سفيرا . ومع ذلك فقد كانت كثيراً ما تقص قصصاً لم تحدث . وعندما كانت صغيرة جداً لم تكن تميز بين الحقيقة والخيال ولكنها بعد أن كبرت قليلاً واستمرت على عاداتها كانت تدرك فماتها لكن بعد أن تكون روت كل ما لديها فذهب الى النوم خائفة تحس انها ستقتل في كل لحظة وأنها لن تستيقظ ابداً من ناعسا إن هي استغرقت فيه . وهكذا وقر في نفس انيسة صورة العقاب المخيف سواء على شكل موت أم على شكل نار لا تطفأ ودود لا يموت أم على شكل عين إلهية لا تنام ؛ وذلك لكل من يكذب أو يشتم أو يخلف ، ولم يكن الأمر يخلو من أن تكون هي واحدة من هؤلاء ، بين حين وحين عندما يقرر بها الشيطان .

وقبض أصدقاء الشيطان على المسيح وانصرف الجميع ، وأصبح يهوذا ويده النقود يحرق فيها ، وهنا جاءه الشيطان وهو يضحك ضحكاً شديداً هذه المرة ويخرج لسانه ليهوذا صائحاً بصوت مستنكر (وزاد وجه المدرسة تجعداً وهي تصيح فلا مقلدة صوت الشيطان) : ها ها لقد ضحكت عليك

وكانت انيسة عبد الملاك اكثر هؤلاء الصغيرات تحديداً وانصافاً ، فقد كانت من اسرة من اقباط مصر المتسكين بتعاليم الدين تمسكاً شديداً ، يأخذ والدها نفسه به كما يأخذ به افراد اسرته جميعاً ، يؤدي الشعائر الدينية على أكمل وجه ، فيصطحب اسرته صباح كل احد ليؤدي فروض العبادة في الكنيسة ، لا يفوته مصيام كبير أو صغير ، كما كانت له عادة الاجتماع بأفراد اسرته صباح كل يوم يصلي بهم ويطلب من الله المعونة وعدم الخطأ فيما يؤدونه أثناء النهار . وهي عادة أخذ بها نفسه قبل الزواج ، ثم اشرك فيها زوجته فيما بعد وظل محافظاً عليها حتى بعد ان ازدادت الاسرة وأصبحت تتكون من خمسة اشخاص . كذلك كان يغمض عينيه كلما جلست الاسرة الى المائدة يذكر الله انه لم ينس الفقراء والمساكين رغم ما امامه من طعام ، بينما صغيرته انيسة - وكانت أصغر أفراد الاسرة - متلهفة على الطعام تود لو ينتهي ابوها من صلاته بأسرع ما يكون لتخطف اللقمة الى فمها الصغير . وفي كل مساء كانوا يجتمعون مرة أخرى يرتلون معاً ترتيلة مسائية ، حتى اذا وصلوا إلى هذين البيتين :

ان أنى في الليل سقم أو دنأ أمر رهيب
عز قلبي يا سروري واشف نفسي يا طبيب

احست انيسة بالرهبة والفرع من هذا الليل الذي تقبل عليه ، وشعرت انها تدخل في مقامرة لا تدري نتيجتها ، ثم ما تلبث ان تتجه نحو فراشها حيث تنحني لتصلي صلاة حفظها عن ظهر قلب تطلب من الله ان يمجها من « الحيات والمقارب وكل قوات الشرير » وهي جملة تدرك معناها جملة وان لم تدرك معناها لفظاً لفظاً - شأنها في ذلك شأن الترتيلة - ولهذا كانت تتصور بالليلى مليئاً بالمقارب والشعابين والصنوبر ، ولن ينقذها من كل هذه الاحوال سوى تلك التمتات التي يجب ان تتلفظ بها والا حدث ما لا تحمد عقباه . وكانت المدرسة تتحدث الآن عن قلب يهوذا الاسود وكيف أنه أحب شيئاً آخر أكثر من المسيح ، فقد كان يحب النقود . وقد عرض عليه الاشرار الذين يسكن الشيطان قلوبهم ان يبيع المسيح ويقبض ثمنه ليشترى به منزلاً كبيراً له وعروسة كذلك لابنته الصغيرة سالوما .

وتذكرت انيسة انها سمعت امثال هذه القصة من والداه عشرات المرات ، فالأمر لم يكن يقتصر في منزلها على مجرد هذه الشعائر بل كان يتغلغل الى كل صغيرة وكبيرة من حياة الاسرة . فلقد لقنوها بهذه الوسائل المختلفة - وفي هذا العمر المبكر - أن هناك صدقاً وكذباً ، أن هناك خيراً وشرّاً ، أن هناك ملائكة وأبالسة ، أن هناك نعمياً وجعياً ، أن هناك أبيض وأسود ، وعرفوها أين يجب أن تكون ، وما ينتظرها ان هي انحرفت . فقد حدث ذات مرة أن أقبلت الصغيرة من مدرستها تتلفظ بكلمة سمعتها ذلك اليوم من زميلة لها ، وكانت معجبة بمخارج الحروف وبقدرتها على تحريك لسانها وشفتيها بلفظ جديد وان لم تفقه له كبير معنى ، فها ان لفظتها حتى التفتت اليها امها منزوجة تسألها عن علمها التلفظ بتلك الكلمة ، فلما اجابتها بأنها زميلتها صفاء امرتها ألا تتفوه بها مرة أخرى لانها كلمة قبيحة ، وان

أيها المبيط وجعلتك تبيع الصديق الذي أحبك بنقود ستنفقها ولا يتبقى منها شيء مذكّر بعد قليل ، ولكن سيبقى في قلبك الاسود هذه الفعلة الشنيعة ، ولن تستطيع أن تكلم بعد اليوم أبداً تلاميذ المسيح الآخرين مثل بطرس ويوحنا ولوقا . وتلفت يهوذا حوله يريد أن يضرب ذلك الذي مكر به وخدعه ، لكن الشيطان اغنى بسرعة وتفادى يهوذا ثم تعلق بقفاه ، فكان يهوذا يحس به ولا يراه ، يسمعه ولا يستطيع أن يمكس به (واقشعرت أصفر الفتيات سناً مثل فيمة وإنصاف وشفقة وإبزا وأنيسة) وكانت أنيسة تعاني أزمة نفسية عنيفة ، فبذات أيام اكتشفت أسرتها ذات صباح أن ياماة قد صنعت لها عشاً على قاعدة شبك المطبخ ، وخلف صينية القفل تماماً ، وقد تغاملت الام بوجود هذا الطائر الوديع (ويبدو أن ذكره قد أتى في آية من آيات الانجيل) فحرمت على اولادها ان يمشوا بهذا العش ، وافهمتهم ان ياماة ستبيض وشيكاً وتضع افراساً صفراء ، وحرام الا يوفروا الهدوء اللازم للام واطفالها . وظل الاطفال يراقبون العش باهتمام كل يوم حتى شاهدوا - في غياب ياماة وامهم ايضاً - بيضتين صغيرتين غارتين في اعشاب العش القصيرة الجافة المتماكة ، وقد فرحوا برؤية البيض فرحاً عظيماً وعدوه كأعداء نتيجة مجودهم ، وظلوا يترقبون يوماً بعد يوم ، لإفراخ هذا البيض لينعموا برؤية طائرين صغيرين لم يشاهدوا مثلهما في حياتهم .

وبالامس مساء ، وقبل العشاء ، كانت الاسرة تجلس في شرفة المنزل في الطرف الشمالي منه يستمتع افرادها بالهواء الرطب المنمش وم يتسامرون ، وقد جلس على مائدة منهم خادمهم عجيب ، وهو صبي لا يتجاوز الحادية عشرة كان قد احضره بواب المنزل من قريته كفر النصارى ليشق طريقه ويجرب حظه في مدينة مزدحمة كالقاهرة ، وكان الان قد انهكه عمل النار ، فانزوى على الارض في ركن الشرفة شبه نائم . وفجأة تسكت انيسة من بين الجماعة معللة نفسها برغبتها في قائل من الماء ، والواقع انها لم تكن ظمأى الى الماء بقدر ظمئها الى رؤية ما تم في امر البيضتين ، فالتفت على اطراف اصابعها الى المطبخ ، وهناك سجدت مقعداً ووضعته بجانب الشباك ، ثم اعتلت ونظرت خلف القفل . كانت ياماة هناك ، لكنها رأت - وبالفرة ما رأت - فرخاً صغيراً ضئيل الحجم يفتح فمه بجوار امه



كأنما يبحث عن شيء ، اما البيضة الاخرى فيبدو انها كانت ما تزال كاهي . ولم يفرعها وجود ياماة - التي كانت الآن نائمة - ولا هو غير من خطتها التي صممت عليها ، بل مدت يدها تريد ان تخطف الفرخ الصغير لتمسكه وتأمله عن قرب ، وفزعت الأم من نومها وحالت في عصف بعيداً . حتى تطاير منها الريش ، وليست تدري انيسة حتى الآن ، هل وقع العش وتناثر بسببها أم بسبب طيران ياماة المفاجيء ، كل ما تميزه هو انها وجدت امامها وعلى بلاط المطبخ الابيض بعض اعشاب العش المتناثرة ، ثم البيضة الاخرى وقد تكسرت فظهر من داخلها فرخ آخر اقل حجماً يبيض بالحياة وان كانت قطرتان من دمه تنتثران على جلده الشاحب المنحول . اما الفرخ الآخر فيبدو انه سقط خارج النافذة في فراغ المنور . وفزعت الصغيرة مما رأت ، وجرت الى الخارج ، فلما اطمأنت الى ان الجميع غافلون عنها ، ولم ينتبه واحد منهم الى ما حدث ، اطفأت نور المطبخ ثم تسكت الى الشرفة حيث كان والداه وأخوها ما زالوا يتسامرون ، بينما كان الخادم الصغير يغط الآن في نوم عميق . وما لبثت الام ان صاحت « يا عجيب » لكي يستيقظ ، ثم طلبت منه ان يذهب الى المطبخ ليأخذها بكوب ماء ، وكأنها تذكر الجميع فجأة ظمأهم فطلبوا بالتالي نفس الطلب ، ولهذا عدلت الأم طلبها وأمرت خادمها ان يحضر القلة نفسها ، واتجه الصبي نحو المطبخ ، لكنه حين اضاء النور لاحظ الفرخ الصغير الملقى على الارض وهو ما يزال ملتصقاً بقشرته يفتح منقاره كأنما ياث . وتأمل الصبي المنظر العجيب مندهشاً ثم قاده حب الاستطلاع الى ان يسه يده وجلس الطفل يداعب الفرخ الذي كان يقاوم الموت ، ونسي ما كلفته به سيدة حتى طالت غيبته ، فصرخت تنادي عليه ، لكنه كان مشغولاً باكتشافه الرائع ، لهذا قامت بنفسها لترى ماذا يفعل الصبي ، ولدهشتها ، وجدته منحنيّاً على الارض ويديه الفرخ وقد تدلت رقبته واسلم انفاسه بينما تناثر قشر البيضة واعشاب العش الجافة على ارض المطبخ فصاحت السيدة في دهشة « باسم الصليب ! ماذا تفعل ايها الولد ؟ » وفزع الصبي بينما انطلقت السيدة صارخة لماذا فعلت هذا ؟ لماذا اقتربت من العش ايها المجرم الذي لا قلب له ؟ واقبل على صراخها افراد الاسرة وأنيسة من بينهم وصاحت الاخت الكبرى نصيفة « باسم الآب والابن والروح القدس ماذا حدث ؟ » - والخادم يزق ويحلف بأنه لم يقترب من العش بل وجد الفرخ ملقى على الارض ولا

مُسَابَقَةُ «الآدَابِ» الشِّعْرِيَّةِ

- ٢ - يحسن بالقصيدة الا تتجاوز مئة بيت ولا تقل عن ثلاثين
٣ - لا ضرورة لوضع اسم مستعار للشاعر
٤ - تنتهي المسابقة في آخر تشرين الاول القادم ١٩٥٤ .

الجوائز

- الاولى - ٣٠٠ ليرة لبنانية او ما يعادلها
الثانية - ١٢٥ « « «
الثالثة - ٧٥ « « «

تدعو «الآداب» شعراء العربية في مختلف أقطارهم الى المشاركة في
مسابقة شعرية تتناول الموضوعات التالية :

- اولاً - عودة اللاجئين
ثانياً - الوحدة العربية
ثالثاً - المرأة في المجتمع العربي
رابعاً - حرب على الاستعمار
خامساً - حرب على الاقطاع

الشروط

- ١ - يحق للشاعر ان يشترك في اكثر من موضوع واحد

فازال الاعشاب الجافة وقشر البيض والفرخ الميت ، ولكنها رفعت عينها
تبحث عن جريماتها في وجوه والديها واخويها ، ولكنها لم تجد الا ان عجيباً
متجهماً الوجه يبدو عليه الخوف من كل حركة تتجه نحوه كأنها موجهة
لضربه ، والكل ينظرون اليه ، نظرهم الى الكذاب الخائن الذي حطم
عش اليامة الوادعة ، وهي وحدها التي تعرف الحقيقة ولا تستطيع ان
تصرح بها ولا تستطيع كذلك ان تنساها . وهكذا ذهبت في طريقها الى
المدرسة وهي تحس بضيق شديد لا تعرف كيف تقضي عليه وتتخلص منه ،
فان عين الله التي تراءت لها ليلة الامس تتابعها الآن ولا تستطيع الاختفاء
منها ، لا في ثياب اميرة فسجورة (فهي لا تستحق ذلك) ولا في شكل
أوزة . ولا حتى ارنب ، وكانت عين الله ما تزال تلاحقها وهي جالسة في
حصة الدين تستمع الى قصة يهوذا بانبياه شديد وتتللف لمعرفة مصيره .

واستمرت المدرسة في قصتها ، تروي كيف ان يهوذا لم يستطع ان ينام
طوال الليل ، وكيف ان ابنه سالوما كانت تسأله عن العروسة التي وعدها
بها ، لكنه لم يجبها بشيء ، وكيف ان الشيطان كان يقفز حوله طوال
الوقت بحيث لم يجد طريقة للخلاص الا ان ينتحر بشق نفسه .

وقالت طفلة في انفعال : احسن .

وسألت اخرى : ما معنى شقق نفسه ؟

فاجبتها زميلة لها : يعني علق جبلاً حول رقبته .

وفجأة رويت أنيسة وقد تشبعت اطرافها وصرت باسنانها وهي تبكي
بكاء مرأى ، واسرعت اليها المدرسة ، وفزعت الطالبات واخذن ييكن
بدورهن . وكانت عينا أنيسة المحمرتان محمدين ، رغم ما فيها من دموع
تبكتان هل يمكن ان يكون هناك شيطان يسك برقبته . وكأنا هي تنبه
ببكائها هذه المجموعة من الناس ليجتمعوا حولها فتحتمي بهم من «عين الله» .
وكان الآن شعر المدرسة الابيض يقف بينها وبين هذه العين مما طمأنها
قليلاً . واقبلت ناظرة المدرسة على المهرج والمرج اللذين شاعا في الفصل تسأل
عن سر الضجة ، فاجبتها المدرسة قائلة : لقد كنت اقض قصة يهوذا ،
ويبدو ان هذه الطالبة قد تأثرت لمصير المسيح على يدها الخائن فتابتها
هذه النبوة من البكاء . انها الآن احسن قليلاً .

يوسف الشاروني

القاهرة

كانت له سوابق في الكذب فان السيدة انهالت عليه ضرباً ، وكان كلما
حلف كلما ضوعف عقابه . وزعق الابن الاكبر شقيق قائلاً : «اخرساها
الكذاب» وقال الوالد « اذا قلت الحق سأمحك . » وكان الحق الوحيد
هو ان ينسب الى نفسه ما وقع بالمش ، ولكن الولد اصر على انه لم يعثر
بشيء ، وأنيسة تستمع الى ما يدور وتلاحظ غضب والديها واخويها الشديد
وترتعد خوفاً لا تدري ما عسى ان تكون النهاية . وازاء اصرار الصبي
على الانكار التفتت الأم الى اولادها تسألهم ، هل اقترب احدكم من المش؟
وقبل ان تسمع الاجابة من احدهم استمرت تسأل « هل اقتربت من المش
يا شقيق ، هل اقتربت يا نصيفه ، هل اقتربت يا أنيسة ؟ » وكانت أنيسة لا تملك
اختيار اجابتها ، فقد سمعت اختها تقول «لا» واخاها يقول «لا» وبطريقة
آلية قالت هي الاخرى «لا» ولا يمكن ان يكون لدى السيدة ام
شقيق ابن يكذب ، لهذا انهالت مرة اخرى ضرباً على الولد وهي تقول
له : « انك ستعلم اولادنا الكذب» . وأنيسة واقفة ترتقب ما يحدث ، انها لا
تحس انها كذبت فحسب ، بل وان بريئاً يعاقب بدلاً منها . وزاد احساسها
بثقل الخطيئة حين جلسوا يتناولون المشاء وقد حرموا منه الخادم الكذاب ،
وهو يبكي صارخاً : «اريد ان اعود الى اهلي ، اريد ان اسافر الى بلدي»
والاب والام يأمرانه بالصمت . ولم تتناول أنيسة الا لقيات في بطء ،
فقد انعدمت شربتها الى الطعام ، وبزغ في نفسها صراع بين ان تقول الحقيقة
وان تصمت . وكما مرت الدقائق وجدت ان فرصة الاعتراف تضاعف ،
ومع ذلك ظلت حزينه حزناً عميقاً ، حتى انها حين رقدت في سريرها
عاودها ذلك الخيال المرعب . انها ان نامت فلن تصحو ابداً ، ستموت كما
مات حنايا وكما ماتت زوجة سفيها ، ثم تذهب الى النار حيث يأكلها الدود
وكانت تفزع لهذه الخراطير فلم تجد الا دموعاً تلجأ اليها في محنتها ، فاغرورت
عينها ، واصدء التراتيل المسائية تملأها رهبة وخوفاً ، وقامت وركمت
تكرر صلاتها وتطلب حمايتها من الحيات والعقارب وهي تحس ان احداً لا
يسمع منها وان عين الله لا تنظر نحوها الا في غضب مقيت ، وظلت تناوشها
هذه الافكار حتى استغرقت اخيراً في النعاس . وعندما قامت في صباح اليوم
التالي لم تكن قد نسيت شيئاً مما حدث . لقد وجدت ان عجيباً كنس المطبخ